الرواية الشفوية
مصدرًا لتاريخ جنوب نجد

د. عبدالله بن محمد المطوع
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

تعد الرواية الشفوية مصدرًا من مصادر التاريخ المهمة، وتزداد أهميتها كلما شحت المصادر الأخرى. وقبل اهتداء الإنسان إلى الكتابة كانت هي الوسيلة الوحيدة لنقل التراث التاريخي من جيل إلى جيل. اعتمد المسلمون كثيرًا في بداية تاريخهم على الرواية الشفوية لتدوين كثير من تراثهم. لكن عندما ضعفت الأمة وتفككت وساد الجهل بقيت الرواية الشفوية مصدرًا لحفظ موروثات كثير من الجماعات البشرية وتاريخها. كذلك الحال في الجزيرة العربية التي سادها الجهل والأمية قبل غيرها من المناطق حتى قيّض الله لها ظهور الدولة السعودية التي استطاعت توحيد معظم أرجاء الجزيرة العربية. ظهرت خلال تلك الفترة بعض الأعمال التاريخية الجيدة (كما سيأتي) اهتمت ببعض الجوانب من تاريخ نجد؛ لكن كان اهتمامها منصبًا على بعض المناطق الحضرية. ومن ناحية أخرى بقيت الرواية الشفوية وسيلة مهمة لحفظ القصص والأخبار والأشعار التي تتناقلها الأجيال واحد بعد الآخر.

سنحاول في المحور الأول من هذه الدراسة معالجة تاريخ جنوب نجد وأسباب الشح في أخبارها. أما في المحور الثاني فسنتطرق إلى التاريخ الشفوي وبعض من تطبيقاته، وننهي الدراسة ببعض التوصيات.

جنوب نجد في مصادر التاريخ السعودي:

يفاجأ الدارس للتاريخ السعودي بندرة المصادر التاريخية وشحها. ويمكن أن يقال هذا عن المنطقة العربية عامة والجزيرة العربية

والخليج العربي خاصة. يصدق هذا القول على فترات التاريخ السعودي كلها؛ أي الدولة السعودية الأولى (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م - ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، والدولة السعودية الثانية (١٢٤٠هـ/١٨٢٤م - ١٣٠٩هـ/١٨٩١م)، والدولة السعودية الثالثة المعاصرة التي تأسست على يد الملك عبد العزيز سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م. ربما تفسر هذه الظاهرة بتفشي الجهل والأمية في مجتمعات الجزيرة العربية قبل انتشار التعليم في العصر الحديث. لكن الملاحظ على المصادر التاريخية لهذه الفترات هو أنه مع ندرة ما تورده من روايات تاريخية بشكل عام إلا أن معلوماتها عن المنطقة موضوع البحث قليلة جدًا. إننا لو تصورنا خطًا وهميًا يمتد من الرياض شرقًا وغربًا لوجدنا أن المنطقة الواقعة جنوب هذا الخط - أي جنوب نجد - لم تحظ بتغطية تاريخية، مثلما حظيت به المنطقة الواقعة شماله. ويبدو أن أسباب هذه الظاهرة ترجع إلى ما يأتي:

١- بُعد المنطقة نسبيًا عن حاضرة البلاد(١)؛ لهذا فالمناطق الجنوبية القريبة من العاصمة - وخاصة منطقة الخرج - تحظى بتغطية تاريخية أفضل قليلا من مثيلاتها الواقعة في أقصى الجنوب.

٢ - قلة عدد السكان والحواضر السكانية في تلك المنطقة مقارنة بالمناطق الأخرى.

٣ - وقوع معظم أحداث التاريخ السعودي في شمال نجد.

٤ - قلة الموارد والأنشطة الاقتصادية مقارنة بمناطق شمال نجد وبخاصة منطقة القصيم ذات الاتصال الأكثر مع المناطق خارج الجزيرة العربية.

٥ - بعد منطقة جنوب نجد عن مناطق الصراع التقليدية خلال فترات التاريخ السعودي. ذلك أن كل دولة من الدول الثلاث خاضت حروبًا متعددة في إقليم القصيم في أطوار التأسيس

---

(١) كانت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى (١١٥٧- ١٢٣٣هـ)، ثم أصبحت الرياض عاصمة للدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠هـ وللدولة السعودية الثالثة المعاصرة سنة ١٣١٩هـ.

والأفول؛ ولاسيما أن الحملات الأجنبية الموجهة ضد الدولتين السعوديتين الأولى والثانية وبداية الدولة الثالثة كانت تأتي عن طريق شمال نجد مرورًا بالقصيم.

٦ - قلة عدد العلماء في تلك المنطقة مقارنة بالمناطق الأخرى في شمال نجد، ولابد من الإشارة إلى أن مؤرخي تلك العصور كانوا علماء، ومنطقة نجد قد عرفت العديد من العلماء الذين تزايد عددهم من فترة إلى أخرى وخاصة في عهد الدولة السعودية الأولى(٢).

٧ - عدم ظهور مؤرخين من تلك المنطقة ما عدا واحدًا، ولكن تاريخه فُقد ولم يصل إلينا (مثلما سنوضح لاحقًا). فمع وجود عدد قليل من العلماء من جنوب نجد إلا أنه لم يكن من بينهم مؤرخٌ؛ بل كان مؤرخو تلك الفترات من مناطق ليس من بينها جنوب نجد. ولتوضيح هذه النقطة الأخيرة نستعرض فيما يأتي - على سبيل المثال لا الحصر - بعضًا من مؤرخي التاريخ السعودي، وكذلك المناطق التي نشؤوا فيها أو هاجروا إليها واستقروا فيها.

أولاً: مؤرخو الدولة السعودية الأولى والثانية:

أ - حسين بن غنام: ألف كتاب "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"، وهو مصدر مهم لتاريخ الدولة السعودية الأولى. هاجر ابن غنام من الأحساء إلى الدرعية، واستقر فيها، وتوفي بها سنة ١٢٢٥هـ(٣).

ب - عثمان بن بشر: وله تاريخ "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ويؤرخ هذا الكتاب للدولة السعودية الأولى وجزء من الدولة الثانية، ولد هذا المؤلف في بلدة جلاجل من إقليم سدير سنة ١٢١٠هـ(٤).

---

(٢) انظر تراجم هؤلاء العلماء في عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، مكتبة مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط٣، ١٣٩٨هـ، ٣ مجلدات.

(٣) عبد العزيز الخويطر، عثمان بن بشر منهجه ومصادره، ط١، الرياض (د.ن)، ١٣٩٠هـ، ص ٧.

(٤) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، جزءآن، طبعة الدارة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ١٧.

جـ - إبراهيم بن عيسى: كتب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، له كتابان هما: "عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر"، وقد ألفه تلبية لرغبة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن، والآخر هو: "تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ"(٥). ولد هذا العالم المؤرخ سنة ١٢٧٠هـ في بلدة أشيقر القريبة من بلدة أسرته شقراء، وكلاهما في إقليم الوشم. كان يتردد على عنيزة حتى استقر بها أخيرًا، وتوفي هناك سنة ١٣٤٣هـ(٦).

د - لعله من المفيد الإشارة إلى أن هؤلاء المؤرخين الثلاثة اعتمدوا بطريقة أو بأخرى فيما يختص بتاريخ نجد على مؤلفات مَنْ سبقهم من علماء نجد التي لا تعدو كونها نبذًا مختصرة جدًا. كما كان أولئك العلماء أصحاب هذه التواريخ القصيرة من شمال نجد إلا واحدًا، وهم: محمد بن علي بن سلوم من بلدة العطار في إقليم سدير، وأحمد بن محمد بن بسام من أشيقر في إقليم الوشم، وأحمد بن محمد المنقور من حوطة سدير في إقليم سدير، وحمد بن محمد بن لعبون من التويم في إقليم سدير، ومحمد بن عمر الفاخري من التويم أيضًا(٧). أما الاستثناء الوحيد فهو لراشد بن خنين من بين أصحاب هذه التواريخ القصيرة جدًا الذي خرج عن القاعدة؛ لأنه من مواليد الخرج أي من جنوب نجد، ولكن للأسف لم يصل إلينا شيء من تاريخه إلا من خلال اقتباس ابن بشر(٨).

---

(٥) عبد العزيز الخويطر، مصدر سابق، ص ٨ - ٩.

(٦) عبد الله البسام، مصدر سابق، جـ١ ص ١١٧- ١٢٥.

(٧) لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الله بن يوسف الشبل، أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية، رسالة دكتوراه، جامعة الاسكندرية - قسم التاريخ ١٤٠٠هـ.

(٨) عبد العزيز الخويطر، مصدر سابق، ص ٨ - ٩.

ثانياً: مؤرخو الدولة السعودية الثالثة:

إذا كان لندرة ما كتب بشأن منطقة جنوب نجد ما يسوغه في الدورين السابقين من التاريخ السعودي إلا أنه يلحظ استمرار الظاهرة نفسها في الدور الثالث من التاريخ السعودي. مرة أخرى ربما نجد تفسير ذلك في الأسباب نفسها التي أوردناها سابقًا؛ إذ كان أوائل مؤرخي الدولة السعودية الثالثة في الغالب ممن ولدوا خارج الجزيرة العربية، ثم قدموا للعمل في حكومة الملك عبد العزيز، ومن أهم الأعمال المنشورة والمتداولة بين الباحثين:

أ - خير الدين الزركلي: وله كتاب "شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز"، يقع في أربعة أجزاء، وقد اختصره في كتاب سماه "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز"(٩). يعد عمله من أفضل ما كتب عن تلك الفترة وأشمله؛ ولكن أخبار المنطقة موضوع البحث (جنوب نجد) ما تزال قليلة مقارنة مع غيرها من المناطق.

ب - أمين الريحاني: وله كتابان هما: "تاريخ نجد الحديث" و"ملوك العرب". يتميز كتاب "تاريخ نجد الحديث" بأن المؤلف استقى معلوماته من الملك نفسه. ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب " كان عظمته يروي من أخباره ما يستغرق ساعة واحدة كل ليلة، فنتعاون أنا والسيد هاشم (الرفاعي) في التدوين"(١٠).

جـ - حافظ وهبه: وله كتابان هما: "جزيرة العرب في القرن العشرين" و"خمسون عامًا في جزيرة العرب". تعود أهمية هذين الكتابين إلى قرب المؤلف من الملك عبد العزيز، ولكن يلحظ عليهما ما لحظ على ما قبلهما بخصوص تاريخ منطقة جنوب نجد(١١).

---

(٩) انظر خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ٤ أجزاء، بيروت: ط٣، دار العلم للملايين، ١٩٨٥م، وكذلك الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط ٥، بيروت ١٩٨٨م.

(١٠) انظر أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، بيروت: دار الجيل، ط ٦، ١٩٨٨م، ص ١١.

(١١) انظر حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ط ٥، ١٩٦٧م وخمسون عامًا في جزيرة العرب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، القاهرة ١٩٦٠م.

د - محمد المانع: وله كتاب باللغة الإنجليزية سماه (Arabia Unifie)، تُرجم إلى اللغة العربية بعنوان: "توحيد المملكة العربية السعودية". وترجع أهمية هذا الكتاب لمعايشة المؤلف لبعض الأحداث التي أرّخ لها، ولكن أخبار المنطقة موضوع البحث قليلة جدًا(١٢).

يلحظ أن كل هؤلاء المؤرخين الذين استعرضناهم سابقًا ولدوا خارج الجزيرة العربية(١٣)، ولكن أعجبتهم بطولات الملك عبد العزيز ومبادئه وأهدافه أثناء فترة توحيد البلاد فجاؤوا للعمل في حكومته. كان الاستثناء: هو أمين الريحاني الذي وإن لم يكن قد عمل مع الملك عبد العزيز فهو لا شك قد أعجب ببطولاته.

دور الرواية الشفوية في تعويض نقص الرواية التاريخية المكتوبة:

بعد أن وضح النقص في الرواية التاريخية المكتوبة للمنطقة موضوع البحث فهل يعني هذا أن هذه المنطقة ومثيلاتها في المملكة العربية السعودية وخارجها كانت بلا تاريخ؟ هل التاريخ يقتصر على الحوادث السياسية والحروب وما في حكمها؟ الإجابة عن هذين السؤالين معروفة بلا شك. ولكن ماذا يمكن فعله للتغلب على مشكلة المصادر؟ هنا لابد من البحث عن منهجية أخرى قد تكون مختلفة وعليها ما عليها من ملحوظات ولكن لعلها تسد شيئًا من هذا النقص، فلا مفر من اللجوء إلى الرواية الشفوية. لكن قبل دراسة الدور الذي يمكن أن تسهم به الرواية الشفوية حيال تاريخ المنطقة موضوع البحث، لابد من إلقاء نظرة سريعة على التاريخ الشفوي وتطبيقاته.

---

(١٢) انظر محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة د. عبد الله العثيمين، الدمام، مطابع المطوع، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٥ - ١٧.

(١٣) تم استعراض هذه الأعمال للتدليل على صحة ما قلناه. ولكن بالإضافة إلى ذلك توجد أعمال أخرى ومنها بعض الأعمال المحلية غير المنشورة، مثل:

أ - النجم اللامع للنوادر جامع لمحمد بن علي العبيد.

ب - تاريخ القاضي لإبراهيم بن محمد القاضي.

جـ - عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد لعبد الرحمن الناصر. ما تزال هذه الأعمال مخطوطات ولكنها لا تنفي، بل تثبت ما ذكرناه إذ إن مؤلفي هذه الأعمال من شمال نجد.

بعض تجارب التاريخ الشفوي:

تشكل الأشياء المتبقية من الماضي أساس المعرفة التاريخية، ويعتمد معظم المؤرخين على الوثائق المكتوبة مثل الكتب والرسائل والصكوك... لكن كما يقول جيمس هوبز (James Hoopes): هناك أشياء أخرى مثل المنازل والعملات وشواهد القبور والأثاث والفولكلور، أو الأساطير التي تنتقل من جيل إلى جيل يمكن عدّها وثائق؛ لأنها تنقل إلينا الكثير عن أصحابها. يختلف الفولكلور أو الأساطير عن الأنواع الأخرى؛ لأن (جذوره) ووسيلة نقله هي الكلام، فالتاريخ الشفوي يعتمد على وثائق منطوقة والفولكلور والأسطورة ما هما إلا نوع من تلك الوثائق(١٤). كما يمكن أن يقال الكلام نفسه عن الأغاني والقصص والخطب والمقابلات. إذاً السؤال: ما التاريخ الشفوي؟ إنه من ناحية يعد إحدى طرق البحث التي يعتمد عليها المؤرخ، ومن ناحية أخرى فهو صورة من صور الكتابة التاريخية التي تنشأ نتيجة ذلك البحث. يقول ثاد سيتون (Thad Sitton) في تعريفه للتاريخ الشفوي؛ "إنه ذكريات وتذكرات أناس أحياء حول ماضيهم"(١٥).

الحقيقة أن التاريخ الشفوي لا يعد أمرًا جديدًا؛ بل هو قديم قدم المعرفة التاريخية. انظر مثلا إلى المؤرخين اليونانيين وخاصة هيرودوت (أبو التاريخ) فقد اعتمد في تاريخه على ذكريات شخصية لأناس شاركوا في الأحداث أو تلقوها من أجيال سابقة. لقد ذكر هيرودوت أنه خلال تجواله الطويل في آسيا الصغرى والشرق الأدنى كان يجمع القصص حول الماضي ويتفحص الآثار، وقد أورد في تاريخه الكثير مما زعم بأنه يعود لقرون مضت(١٦). كذلك نجد الحال مشابهة بالنسبة لتاريخ العرب القديم فنكاد لا نجد تاريخًا مدونًا قبل

---

(14) James Hoopes. Oral History, 2nd ed., The university of North Carolina Press, 1979, p. 5.

(15) Thad Sitton and others, Oral History, Ist ed., University of Texas, Austin, 1983, p. 4.

(16) David Henige, Oral Historiography, Ist ed. Longman, Lagos, 1982, pp. 7-8.

الإسلام فقد كانوا يتذكرون أيامهم عن طريق الرواية الشفوية. حفظت هذه الروايات وتناقلتها الأجيال وتخللها الشعر وأعطاها أهمية، وبقيت كذلك بعد ظهور الإسلام إلى أن جمعت وصنفت في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي(١٧).

في عصرنا الحاضر أخذ الاهتمام بالتاريخ الشفوي بعدًا جديدًا بعد أن أخذت الدراسات التاريخية توسع مجالها إلى ما هو أبعد من التاريخ السياسي. هناك من يرى حتى في العالم المتقدم، الذي تكاد تنعدم فيه الأمية ويحظى بدراسات تاريخية جيدة أنه لم يدون من التاريخ إلا الشيء القليل.

يقول ثاد سيتون: "لاحظ أحدهم مرة أن التاريخ الاجتماعي ما هو إلا تلك الخمسة والتسعون في المئة من التجربة الإنسانية التي تبقى بعد أن تجف أقلام المؤرخين من كتابة تواريخهم الرسمية"، ويكمل قائلا: "من المؤكد أن كثيرًا من الأوجه العادية للحياة اليومية في الماضي تبقى موضوعا للدراسة عن طريق التاريخ الشفوي"(١٨). في سياق هذا النهم للمزيد من المعرفة التاريخية بشأن تاريخ المجتمعات سواء المتعلم منها كما هو في الغرب، أو تلك التي ما زالت تعاني من الجهل والأمية، ظهرت أعمال كثيرة في مجال التاريخ الشفوي لعل من أهمها - إن لم يكن أهمها على الإطلاق - كتاب جان فانسينا (Jan Vansina). ظهر هذا الكتاب الموسوم بـ "Oral Tradition" وهو ما يمكن ترجمته بـ"التقاليد الشفوية" سنة ١٩٦١م باللغة الفرنسية، ثم ترجم بعد أربع سنوات إلى اللغة الإنجليزية. أصبح لهذا الكتاب تأثير كبير، ليس عند المهتمين بالتاريخ الأفريقي فقط، ولكن عند معظم المهتمين بالتاريخ الشفوي والأنثروبولوجيا والفوكلور. بالإضافة إلى ذلك فرغم كونه رائدًا ورغم كثرة الأعمال التي ظهرت بعده - بما في ذلك بعض الأفكار الثانوية للمؤلف نفسه - إلا أنه يبقى أهم أداة

---

(١٧) شوقي الجمل، علم التاريخ، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م، ص٢٦-٢٧.

(18) Thad Sitton, op. cit., p. 60.

للبحث عند المؤرخين الذين يستخدمون المصادر الشفوية فهو يعد دليلاً لهم ومسوغًا لعملهم (To guide and Justify their work)(١٩).

مما لاشك فيه أن المخترعات الألكترونية الحديثة في مجال التسجيلات الصوتية سهلت من مهمة الباحث في ميدان التاريخ الشفوي. من ناحية أخرى يرى بعض المؤرخين أن التقدم الذي طرأ على وسائل الاتصالات الحديثة في الغرب، وخاصة في مجال الهاتف يعد مسؤولا عن النقص الكبير في الوثائق الشخصية مثل الرسائل واليوميات(٢٠). انعكس هذا التغير كذلك على مجتمعاتنا العربية عامة وعلى مجتمعنا السعودي خاصة بعد قدوم وسائل الاتصالات الحديثة وخاصة الهاتف. مع أن التاريخ الشفوي لا يغني تمامًا عن ضياع الوثائق المكتوبة أو عدم توفرها إلا أنه يمكن أن يمدنا أحيانًا بمعلومات وحقائق قد لا نتمكن من الحصول عليها من مصدر آخر.

يتعامل التاريخ الشفوي ليس مع تجارب المشاهير والعظماء فحسب؛ بل مع تجارب الناس ممن هم أقل شأنًا من غيرهم وربما كانت هذه إحدى ميزاته. وكما ذكرنا سابقًا فإن التاريخ الشفوي ليس أمرًا جديدًا بل قديمًا قدم المعلومة التاريخية ذاتها، إلا أن هناك من يرى عدم أهليته وجديته بوصفه طريقة للبحث التاريخي. يأتي في مقدمة هؤلاء المؤرخ الألماني فون رانكه (Von Ranke) ومدرسته الذين يعطون جل اهتمامهم للوثائق؛ بل إن بعضهم اشتطوا في نظرتهم لدرجة أنهم لا يعدون الجرائد مصادر للتاريخ(٢١).

وهناك من يفرق بين التاريخ الشفوي (Oral History) وبين(٢٢)

---

(19) David Henige, op. cit, p. 21.

(20) Thad Sitton, op. cit., p.5.

(21) Ramon I. Harris and Others, The Practice of Oral History, Microfilming Corporation of America, 1975, p. 2.

(٢٢) الترجمة الحرفية لهذه الكلمة هي: شيء يسمع من شخص آخر، إشاعة، أو أي دليل ليس مبنيًا على معرفة شخصية. انظر: المورد لمنير البعلبكي، وقاموس Webster's New Universal Urabridged Dictionary.

(Oral Hearsay) وهو ما يرويه الراوي عن حياة أسلافه أو أحداث وقعت أثناء حياتهم. فالأول هو ما يرويه الشخص عن شيء شهده أو عايشه، أما الثاني فحسب رأيهم ليس بتاريخ شفوي بل شيء سُمِعَ عن أجيال سابقة. ولا يعني أن مثل هذه المعلومات عديمة الفائدة، ولكننا نواجه مشكلة بشأن مصداقيتها ومدى دقتها وأنها ليست رواية شاهد عيان، ولهذا فهي ليست تاريخًا شفويًا(٢٣). برز التحدي للتاريخ الشفوي بشأن نقطة مهمة، وهي: ما قيمة رواية رجل معمر حول ماضيه البعيد من حيث كونها معلومات تاريخية أصيلة؟ تواصل الهجوم في شكل سؤال آخر أكثر قوة وهو "Oral History or Heresy?" بمعنى أهو تاريخ شفوي أم بدعة أم هرطقة؟(٢٤) في الواقع أن ذاكرة الإنسان قد تكون ضعيفة فتتعرض للخطأ واللبس، وقد يتعمد الإنسان انتحال روايات كاذبة. لكن مع التسليم بذلك إلا أن هذا يمكن أن يقال عن الكلمة المكتوبة سواء كانت في وثيقة أم مخطوط أم كتاب مطبوع. من ناحية أخرى يجب أن ينظر للرواية الشفوية على أنها مكملة لما في المصادر. كما أن الباحث الجيد يستطيع أن يستخرج المعلومة الصحيحة من الرواة والذين قد يكون عددهم كثيرًا ويتكلمون بشأن الموضوع نفسه(٢٥). وبما أن البحث في التاريخ الشفوي يكون بشأن أمور معاصرة أو شبه معاصرة فإن بإمكان الباحث تتبع الرواية التاريخية واستقصائها وتمحيصها، فعندما يكون مصدر الرواية أو مصادرها موجودين على قيد الحياة فإننا بالمقارنة نستطيع استكشاف ما علق بالرواية من زيادة أو تحريف. أما المصادر المكتوبة فإن المؤرخ يجد نفسه في بعض الأحيان حبيسًا لوجهة نظر المؤرخ الذي لا شك أنه يتأثر بما يتأثر به الآخرون من نسيان أو خطأ أو تزييف للحقائق لتتماشى مع وجهة نظره. بهذا يمكننا القول إن

---

(23) Cullom Davis and Others, Oral History from tape to type, Chicago, American Library Association", 1977, p. 5.

(24) Ibid, p. 5 .

(25) Ibid, p. 6 .

التاريخ الشفوي ليس ببدعة ولا هرطقة عندما يجمع بطريقة واعية وينظم بدقة ويستخدم بطريقة نقدية(٢٦).

تطورت الكتابة التاريخية في الغرب وبشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. استفاد بعض المؤرخين من تجربة منهجيات جديدة استعاروها من تخصصات أخرى. مع أن الاعتماد على الرواية الشفوية ليس أمرًا جديدًا إلا أن الشك موجود بشأن عدم قدرة الباحثين (المقابلين) على تسجيل المحادثات كلمة كلمة. استمر هذا الشك إلى أن تم اختراع جهاز التسجيل الذي لاشك أنه أضاف بعدًا جديدًا.

أسس المؤرخ الشهير ألن نفنز (Allen Nevins) برنامج التاريخ الشفوي في جامعة كولومبيا في نيويورك وقام بإجراء أول مقابلة في ١٨ مايو عام ١٩٤٨م. بعد مرور خمسة وعشرين عامًا صدر دليل لما تم إنجازه، ويتضمن مقابلات مع (٢٦٩٧) شخصًا مطبوعة في (٣٦٠٫٠٠٠) صفحة(٢٧). كان لهذا البرنامج أثر في تزايد أعداد مراكز التاريخ الشفوي وانتشارها في معظم الولايات الأمريكية؛ لكن تأسيس جمعية التاريخ الشفوي في سنة ١٩٦٧م أسهم كثيرًا في زيادة الإقبال على التاريخ الشفوي، وتوج ذلك بإصدارها لدليل مجموعات التاريخ الشفوي. يضم هذا الدليل كشافًا شاملا لآلاف المقابلات التي تم عملها في مئات من المراكز الأمريكية ومختارات من البلدان الأجنبية(٢٨). لقد أصبح بإمكان المؤرخ أن يسجل وجهات نظر الناس وذكرياتهم وحكاياتهم وأشعارهم. فتخلد للزمن. ليس ذلك فحسب؛ بل أصبح بإمكان الباحث أن يستمع للمحادثة المسجلة متى شاء ومع من شاء لتدقيقها وتفحصها. منذ ذلك الحين أصبحت

---

(26) Ibid, p. 6.

(27) Elizabith B. Mason and Louis Starr. The oral History Collection of Columbia University, New york, 1973, pp. vii- ix.

(28) Allen M. Meckler and Ruth Mcmullin. Oral History Collections, R.R. Bowker Company, New york and London, 1975.

المقابلات التسجيلية مصدرًا مهمًا وازداد الإقبال والاهتمام بالتاريخ الشفوي للحصول على معلومات من مصادر كان لا يهتم بها في الماضي كثيرًا. كما أن هذه المنهجية قد استخدمت في دراسات أخرى وخاصة الدراسات الأنثروبولوجية. تقول باربرا ألن ولينوود مونتيل (Barbara Allen and Lynwood Montell): "إن القول بأن الذاكرة الإنسانية لا يمكن الوثوق بها قد أُثبت بطلانه عن طريق البحث بين جماعات من البشر منتشرين حول العالم سجلوا نزعة للاحتفاظ بالحقائق التاريخية لحقب طويلة من الزمن"(٢٩).

للاستدلال على مدى ذيوع الدراسات التاريخية التي اعتمدت على الرواية الشفوية وانتشارها، فإننا سنعرض سريعًا لبعض أهم الأعمال التي لاقت رواجًا وانتشارًا وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. يأتي في مقدمة هذه الأعمال كتاب "الأوقات العصيبة" (Hard Times, An oral History of the Great Depression) لمؤلفه ستدز تركيل (Studs Terkel). يحكي هذا الكتاب كيف عاش الناس في أمريكا أثناء الكساد العظيم معتمدًا في ذلك على الروايات الشفوية التي جمعها ممن عاش تلك الفترة(٣٠). ومن الأعمال الشهيرة التي لاقت رواجًا عالميًا ما قام به ألكس هيلي (Alex Haley) في كتابه الجذور (Roots)، اعتمد ألكس هيلي على الرواية الشفوية وغيرها لتتبع تاريخ أجداده عبر ستة أجيال، وبعد أكثر من عشرة أعوام من العمل الدؤوب تعرف على اسم جده كونتاكونتي (Kunta Kinte)الذي جُلب وعمره ١٦ عامًا من غامبيا سنة ١٧٦٧م(٣١). يضاف إلى هذه الأعمال الناجحة سلسلة كتب فاكس فاير (Fox fire)، وهي عبارة عن مقابلات يجريها طلاب بعض

---

(29) Barbara Allein and Lynwood Montell, From Memory to His ry, Cited by Thad Sitton, op. Cit., p. 8.

(30) Thad Sitton, op. cit., p. 8.

(31) Alex Haley, Roots, Double Day and Company, New york, 1974, pp. 1, 259.

المدارس مع أناس عاديين بشأن حياتهم، بيع من هذا الكتاب عند ظهوره (١٠٠,٠٠٠) نسخة في الشهر الأول، ثم استمرت السلسلة في نجاحها ليباع منها ملايين النسخ(٣٢).

الرواية الشفوية على المستوى المحلي:

لحظنا سابقًا عند مناقشتنا لبعض التجارب في التاريخ الشفوي مدى ما حققه من نجاح وإثراء للمعرفة التاريخية. كما لحظنا أن هذه المنهجية ليست وليدة العصر، بل قديمة استخدمها العرب وغيرهم من الشعوب الأخرى.

تعد منطقة الخليج العربي من أكثر المناطق تأهيلا لتطبيق مثل هذه المنهجية؛ نظرًا لمرورها بتجارب متماثلة، وقد كانت تجارب نشوء دول الخليج العربي ونهوضها متقاربة إلى حد كبير. كما أن اكتشاف النفط في هذه الدول أحدث تغييرات جذرية ليس فقط في المأكل والمشرب والملبس والسكن والمواصلات، بل في التركيبة الاجتماعية والعادات والتقاليد. هذه التغيرات السريعة والمتلاحقة لعلها غير مسبوقة في تاريخ العالم ولهذا وفي وسط زحام هذه التغيرات نسينا كثيرًا من تاريخ أجدادنا، بل تاريخ آبائنا.

لقد كانت هناك بعض المحاولات لتدوين التراث الشفوي، ولكن معظمها كان في مجال الشعر الشعبي (النبطي)، وقد صدر العديد من الدواوين لذلك النوع من الشعر. تنبه له بعض الباحثين وأشاروا إلى أهمية الشعر النبطي؛ لكونه يحوي ذخيرة مخزونة من المعلومات التاريخية(٣٣). تحتوي القصائد الشعبية أو النبطية على مخزونات من التراث الاجتماعي سواء كان ذلك من مجتمع بدوي أم حضري. نرى الشعر عند الشاعر الجيد، وخاصة ما كان له مناسبة، تبرز فيه القيم

---

(٣٢) لمزيد من المعلومات انظر: Thad Sitton, op. cit., pp. 9 - 10.

(٣٣) عبد العزيز الخويطر، مصدر سابق، ص ٣-٤. و د. عبد الله العثيمين، الشعر النبطي مصدرًا لتاريخ نجد، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول ١٩٧٩م، جامعة الرياض، ص ٣٧٧- ٣٩٦.

والعادات والتقاليد وبعض من النواحي الثقافية والاجتماعية التي تنعكس من خلال ذلك المخزون الشعري.

ينظر دائمًا إلى رواية الشخص المشارك في الأحداث بأهمية تفوق غيره من الرواة المعاصرين فقط للحدث. إن من شهد وشارك ليس كمن سمع عن بعد حتى وإن كان واجبًا عليه النظر إلى رواية المشارك بنوع من الحيطة والحذر؛ لأن الإنسان قد يتمادى في تمجيد ذاته. تظل مثل هذه الأعمال مهمة ويجب تشجيعها وخاصة من قبل رجالات الدولة وغيرهم.

صدر حديثًا سلسلة من الأعمال التي اعتمدت على مقابلات مع بعض الشخصيات التي أسهمت مع الملك عبدالعزيز أثناء فترة توحيد المملكة العربية السعودية(٣٤). حفظت لنا هذه الأعمال معلومات تاريخية جيدة عن رجال قاموا بدور مهم في تاريخ توحيد البلاد. كانت هذه المعلومات ستذهب بلا شك أدراج الرياح لولا أن تمت هذه المقابلات مع هؤلاء الرجال الذين يتناقص عددهم يومًا بعد يوم. ومع أهمية هذه الأعمال إلا أنها لم تغط إلا جزءًا قليلاً من حياة المجتمع، ولذا فالحاجة ما تزال قائمة لمزيد من الأعمال الأكثر شمولاً للجوانب الأخرى من حياة المجتمع.

كانت هذه المعلومات ستذهب بلا شك أدراج الرياح لولا أن تمت هذه المقابلات مع هؤلاء الرجال الذين يتناقص عددهم يومًا بعد يوم

مشاريع التخرج: «الرسالة القصيرة»

تنبه قسم التاريخ بجامعة الملك سعود منذ وقت مبكر إلى أهمية التاريخ الشفوي لسد النقص في الرواية التاريخية الذي يعانيه الباحث في التاريخ السعودي الحديث والمعاصر. سنتطرق الآن لبعض التجارب في التاريخ الشفوي قام بها بعض طلاب قسم التاريخ بجامعة الملك سعود في الرياض، وهي عبارة عن مشاريع بحث

---

(٣٤) انظر عبد الرحمن السبيت وآخرون، كنت مع عبد العزيز، المجلد الأول، الحرس الوطني، ١٤٠٨هـ.

للتخرج تحت إشراف أساتذة القسم(٣٥). ابتدأ العمل في هذا المشروع سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، وكان من نصيب كاتب هذا البحث الإشراف على عدد لا بأس به من البحوث. كان الطلبة الذين على وشك التخرج يشجعون على كتابة بحوثهم لمشاريع التخرج في التاريخ الشفوي. يعطى الطالب فرصة للتفكير بشأن الموضوع. ويناقش بخصوص مدى استعداده للكتابة في التاريخ الشفوي وجمع الروايات من كبار السن الذين تتوفر فيهم صفات الراوية الجيد. يقع الخيار عادة على موضوع قريب ومحبب للطالب مثل قريته أو هجرته أو أي نشاط من الأنشطة الاجتماعية أو الاقتصادية في مدينته. كانت الاستجابة متفاوتة بين الطلاب ما بين متخوف ممانع إلى متحمس، ولكن نجحنا والحمد لله في جعل التاريخ الشفوي خيارًا من بين الخيارات المطروحة للطالب كي يكتب فيه. جاءت النتائج مشجعة جدًا فهؤلاء الطلاب الذين يمثلون بحق وحدة البلاد يأتون من مناطق مختلفة من الشمال والجنوب والشرق والغرب. يعود الطالب إلى مجتمعه الصغير وكله أمل بصفته مؤرخًا أن يؤرخ لمجتمعه وأن يرى شيئًا منه ميسرًا للباحثين كي يقرؤوه أسوةً بالمجتمعات الأخرى. يقوم الطلاب الباحثون بعد التهيئة والقراءة بخصوص الموضوع بتسجيل المقابلات الشخصية مع عدد من الرواة يتراوح عددهم من ٣ – ٥ أشخاص. تتفاوت خلفيات هؤلاء الرواة ما بين محارب مع الملك عبدالعزيز إلى أمير بلدة أو هجرة وما بين تاجر لؤلؤ في الخليج إلى عامل في الغوص إلى غيرها من الثقافات التي نشأ فيها الرواة بعد تسجيل هذه المقابلات يتم تفريغها في ملاحق تلحق بالبحث، ويتم

---

(٣٥) تم إنشاء وحدة التاريخ الشفوي في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود بهدف جمع التاريخ الشفوي للبلاد وتدوينه ولكن لم ينفذ أيًّا من مشاريعها إلا مشروع الرسالة القصيرة (بحث التخرج). قدر لهذا المشروع، بحمد الله، الاستمرار، ففي كل فصل يختار عدد من الطلاب الكتابة في التاريخ الشفوي ويكون ذلك، بلا شك، بتشجيع من الأستاذ المشرف. ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر لكل من أسهم في هذا المشروع من طلاب وأساتذة.

الاستفادة منها من قبل الباحث كأي مصدر آخر. لو نظرنا إلى الجدول المرفق لرأينا تغيرًا عن النمط السائد في المصادر المكتوبة. كان نصيب المنطقة موضوع البحث ثلاثة أبحاث فقط من بين سبعة عشر بحثًا تم عملها ما بين سنتي ١٤١٢- ١٤١٩هـ تحت إشراف كاتب هذا البحث. بلا شك أن هذه الأبحاث الثلاثة تشكل نسبة جيدة هي (١٧٪)، ويجب الاستمرار فيها ليس فيما يخص المنطقة موضوع البحث فحسب بل في مناطق أخرى من البلاد.

م	عنوان البحث	تاريخ الإعداد
١	قرية القابل في نجران	١٤١٢هـ
٢	قرية البرة (قرب الرياض)	١٤١٢هـ
٣	تاريخ العوامية (منطقة القطيف)	١٤١٢هـ
٤	أهم الحرف والمهن في منطقة القطيف	١٤١٣هـ
٥	أوضاع منطقة وادي الدواسر في عهد الملك عبد العزيز	١٤١٣هـ
٦	اقتصاديات القطيف ١٣٠٠- ١٣٥٠هـ	١٤١٤هـ
٧	الحياة العلمية في القطيف ١٣٠٠ - ١٣٧٥هـ	١٤١٤هـ
٨	وادي الدواسر في عهد الملك عبد العزيز	١٤١٧هـ
٩	هجر قبيلة مطير	١٤١٧هـ
١٠	نجران في العهود السعودية الثلاثة	١٤١٧هـ
١١	شرورة «منطقة شرورة»	١٤١٨هـ
١٢	هجر قبيلة قحطان «منطقة الرين»	١٤١٨هـ
١٣	قرية الملاحة «منطقة القطيف»	١٤١٨هـ
١٤	نجران في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة	١٤١٩هـ
١٥	قرية الجارودية «منطقة القطيف»	١٤١٩هـ
١٦	هجر قبيلة سبيع «رماح قرب الرياض»	١٤١٩هـ
١٧	بيشة في عهد الملك عبد العزيز «منطقة بيشة»	١٤١٩هـ

كانت الأبحاث الثلاثة (رقم ٥ - ٨- ١٢) التي جاءت من المنطقة موضوع البحث (جنوب نجد) متميزة؛ لكونها تؤرخ لمنطقة تعاني من نقص في الرواية التاريخية المكتوبة. تضمنت هذه الأبحاث مقابلات

تسجيلية فُرّغت، وألحقت بالأبحاث بوصفها ملاحق، هذا بالإضافة إلى أن بعضها قد زود بوثائق مهمة كانت في معظمها رسائل متبادلة بين الملك عبد العزيز وأهالي تلك المناطق، كما اشتملت الأبحاث التي جاءت من المناطق الأخرى على وثائق وصور تاريخية مهمة(٣٦). أسهمت هذه الأعمال الطلابية بلا شك في إلقاء الضوء على بعض جوانب تاريخنا الوطني، ولكن ما زلنا بحاجة إلى مزيد من الأعمال الأكثر شمولاً وتنظيمًا.

تقويم مشاريع التخرج:

أضافت هذه الأعمال الطلابية شيئًا إلى المعرفة التاريخية، وأثبتت أنه بالإمكان الاعتماد عليها؛ لسد بعض جوانب النقص في تاريخنا الوطني؛ ولكن مثلها مثل أي عمل آخر لا تخلو من بعض الملحوظات.

ويمكن تقسيم هذه الملحوظات قسمين: إيجابية وسلبية، ولنبدأ بالحديث عن الإيجابيات التي يمكن تلخيصها فيما يأتي:

١- كانت هذه الأعمال أشبه بدراسات أولية جاءت من مختلف مناطق المملكة، وهي بهذا تعد مؤشرًا على ما يمكن أن يجده الباحث.

٢- الحماسة عند الكثير من الطلاب لإبراز دوره الشخصي في التأريخ لبلدته أو قريته أو قبيلته ومنهم من قام بنشر عمله(٣٧).

٣- نشر الوعي بأهمية الحفاظ على التراث والاهتمام بالتاريخ الشفوي.

٤- جمع الوثائق والصور ذات العلاقة بموضوع البحث.

٥- الاستفادة من معرفة الطلاب بأهالي المناطق المرشحين لمثل هذه المقابلات. هذه المعرفة تسهل العمل وتقصر مدته وتحقق نوعًا

---

(٣٦) زخرت بعض هذه الأبحاث بوثائق وصور تاريخية جيدة؛ ولكن لا يتسع المجال لعرضها في البحث.

(٣٧) يوسف جديد العتيبي، هجر قبيلة عتيبة في عهد الملك عبد العزيز، بيروت، مؤسسة خليفة للطباعة، ١٤١٨هـ.

من الارتياح لدى الراوية عندما يقابله شخص معروف لديه وربما من أقاربه.

٦- تتم هذه الأعمال بتكلفة مادية زهيدة.

أما السلبيات التي تعتري هذا العمل الطلابي فيمكن تلخيصها فيما يأتي:

١- قلة التهيئة والقراءة حول الموضوع المراد دراسته قبل التوجه إلى الميدان.

٢- قلة التحضير لمعرفة أحوال الراوية، وما الأمور أو القضايا التي يمكن أن يدلي بمعلومات مفيدة بشأنها؟

٣- الانطباع الخاطئ عند بعض الطلاب أن الكتابة في التاريخ الشفوي تغني عن العودة إلى المصادر والمراجع.

٤- لحظ عدم الارتياح عند بعض الرواة من وجود جهاز التسجيل، وقد رفض بعضهم وجود هذه الآلة، فاضطر الطالب إلى الاستغناء عنها بأخذ الملحوظات كتابة مما يجعله عرضة للخطأ، أو نسيان بعض المعلومات.

٥- عدم اختيار الوقت المناسب لإجراء المقابلة.

٦- عدم التمكن من طرح السؤال الصحيح في الوقت المناسب.

٧- عدم التمكن من طرح أسئلة تعقيبية توضح بعض النقاط التي ذكرها الرواة.

٨- مقاطعة الراوية حينما يستطرد في موضوع قد يكون مهمًا، ولكنه خارج اهتمام الطالب أو معرفته.

٩- لحظ طرح بعض الأسئلة بطريقة تحمل في طياتها الجواب.

١٠- الانطباع لدى بعض الطلاب وكثير من الرواة بأن التاريخ الذي يستحق التدوين هو تاريخ الحروب والغزوات، وصرف النظر عن شؤون المجتمع الأخرى.

١١- تدخل الطالب أحيانًا لإخفاء الصورة الحقيقية التي قد تمس

عائلته أو قريته أو هجرته، في محاولة منه لإظهارها بالمظهر الحسن.

١٢- عدم قدرة الطالب على فهم بعض الروايات التاريخية واستقصائها، وهذا قد ينتج عن سوء فهم السياق التاريخي أو الظروف المهيمنة في تلك الفترة.

«**أنموذج مقترح**»

من خلال العمل في ميدان التاريخ الشفوي لسنوات عدة، وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة إلا أنه نتج عن ذلك أبحاث طلابية أسهمت بشكل متواضع في إلقاء الضوء على بعض جوانب تاريخنا الوطني. لحظنا من خلال دراستنا لمشاريع التخرج في التاريخ الشفوي، وما يخص منها جنوب نجد (موضوع البحث) أن بالإمكان سد بعض جوانب النقص في الرواية التاريخية المكتوبة. لكن من خلال تلك المعايشة ومعالجة موضوع بحثنا هذا اتضح لي مدى النقص الكبير في الدراسات العربية بخصوص التاريخ الشفوي ومنهجيته. ترتكز منهجية التاريخ الشفوي بشكل عام على ثلاث مراحل كبيرة ومتممة بعضها لبعض، وهي:

ترتكز منهجية التاريخ الشفوي بشكل عام على ثلاث مراحل كبيرة مهمة

(أ) جمع المادة وتسجيلها على الأشرطة والحفاظ عليها. وهذه خطوة مهمة جدًا، لكن المادة الشفوية إذا بقيت بهذا الشكل فقد تكون قليلة الفائدة.

(ب) معالجة المادة الشفوية بطباعتها وتنظيمها وتبويبها.

(جـ) تيسير المادة الشفوية للباحثين ومراكز البحث(٣٨). يتطلب العمل في التاريخ الشفوي جهودًا كثيرة خلال هذه المراحل الثلاث،

---

(٣٨) لمزيد من المعلومات، انظر الفصل الأول والثاني والثالث من:
Cullom Davis and Others. op. cit.,

لهذا أورد هنا بعض التوصيات والاقتراحات لتحسين العمل، وإرشاد من أراد العمل في هذا النوع من الدراسات التاريخية. آمل أن تسهم هذه المقترحات في حفظ تاريخ مجتمعاتنا المتسارعة النمو قبل فوات الأوان(٣٩)، وهذه المقترحات هي:

١ - التاريخ الشفوي هو حديث مع أناس أحياء لتسجيل ما بذاكراتهم من معلومات بشأن أحداث وأمور شاركوا فيها أو عايشوها، أو رويت لهم ووصلت إليهم عن أجيال سابقة. كذلك يطلق مصطلح "التاريخ الشفوي" على ناتج هذا البحث سواء كان ذلك أشرطة صوتية مسجلة، أم مفرغة ومكتوبة على الورق، أم محفوظة بإحدى طرق الحفظ.

٢ - بعد اختيار الموضوع - المراد دراسته - يبدأ البحث بخصوصه في المصادر والمراجع. يعد البحث في خلفية الموضوع أمرًا ضروريًا لكي تتضح فكرة البحث جيدًا، وترتب أولوياته، وإعداد دليل أسئلة المقابلة، ومن الأشخاص المرشحون لذلك؟

٣ - يعد دليل أسئلة المقابلة الأداة الأساسية أثناء البحث في التاريخ الشفوي، وعلى الرغم من ذلك فإن الباحث يجب ألا يكون أسيرًا له فينصب اهتمامه عليه أكثر من الراوي الذي أمامه. الطريقة المثلى هي أن يكون الدليل محفوظًا في ذهن الباحث في أثناء إجراء المقابلة.

٤ - الخطوة التالية بعد الانتهاء من تصميم الدليل، هي البحث عن مرشحين جيدين لإجراء المقابلة معهم. يمكن ذلك بالبحث والتحري وسؤال العارفين أو أهل العلم في المنطقة أو البلدة.

---

(٣٩) هذه التوصيات (١- ٢٥) مبنية على ملاحظات المؤلف من خلال العمل في التاريخ الشفوي. وكذلك بعض المصادر التي تعالج التاريخ الشفوي وخاصة:
Thad Sitton, op. cit., pp. 152- 156. Ramon Harris, op. cit., pp. 83-96 and Willa K. Baum, Transcribing and Editing Oral History, Nashville, Tenn., American Association for state and local History, 1977, pp. 14 - 21.

٥ – المرشح الجيد هو من يعرف شيئًا عن الموضوع وله صلة به. فمثلاً إذا كان البحث بشأن معركة أو قضية من القضايا فيكون الراوي ممن شارك فيها، وكذلك الحال بالنسبة للتجارة أو الغوص أو أي وجه من أوجه النشاط الاقتصادي أو الاجتماعي. كما أن الراوي لابد أن يكون قادرًا على إجراء المقابلة من حيث الصحة والصوت وغيرهما من الأمور التي تساعد على إدلائه بالمعلومات كاملة صحيحة.

٦ – يفضل مناقشة زمان إجراء المقابلة ومكانها مع الراوي مع الأخذ في الحسبان ما يرى الباحث أنه المكان الأنسب لذلك. فمثلاً أيفضل المقابلة في الصباح أم في المساء؟ أيفضل أن تكون في منزله أم في مكان منعزل؟

٧ – يفضل قبل إجراء المقابلة إعطاء فكرة للراوي عن طبيعة المشروع والأشياء التي ترغب في جمع معلومات بشأنها. كما أنه لابد من إخباره بعزمك على تسجيل المقابلة، وأن المادة العلمية المسجلة ستستخدم للأغراض العلمية فحسب.

٨ – يفضل تسجيل المعلومات التوثيقية على الشريط قبل إجراء المقابلة، أو على الأقل عند إجرائها. تشمل هذه المعلومات اسم الراوية والباحث كاملين وموضوع المقابلة ومتى وأين تمت هذه المقابلة؟ تبدأ بعد ذلك المقابلة بأسئلة عامة تخص حياة الراوي وخلفيته.

تُعَدُّ هذه المعلومات مهمة لمن سيستخدمها من الباحثين في المستقبل. كما أنها في الوقت نفسه تهيئ الراوي للتفكير في الماضي، والإجابة عن الأسئلة التالية.

٩ – تحدث بأسلوب سهل يتناسب مع المستوى الثقافي للراوي، مع محاولة إقناعه بأن ما لديه شيء مهم يستحق التدوين.

١٠ – السؤال الجوهري هو أول سؤال بشأن الموضوع أو الموضوعات

التي تريد مناقشتها؛ لهذا يجب أن يُعدَّ جيدًا بحيث يجعل الراوي ينطلق في الكلام بشأن الموضوع، كما أنه في الوقت نفسه يشكل نمطًا للأسئلة التالية. لابد من التأكد من أن الراوي يعرف الكثير عن هذا السؤال مما يجعله يطيل في الحديث، كما يجب التأكد من أن هذا السؤال لن يكون خلافيًا أو محرجًا. دع الراوي يتحدث ويسترسل في الكلام وإذا كان لديك أي استفسار فيفضل تدوينه لتستوضح عنه فيما بعد.

١١ - بعد أن يعطي الراوي إجابته عن أول سؤال جوهري يمكنك طرح أسئلة تعقيبية؛ لتستفسر وتستوضح بعض النقاط التي ذكرها في إجابته. استمر على هذا المنوال بعد كل مرة تطرح فيها سؤالا جوهريا.

١٢ - المهمة الأساسية للباحث في التاريخ الشفوي هي العمل مع الراوي لزيادة قيمة المعلومات التاريخية المسجلة وكميتها على الشريط. لهذا يجب أن يتسم الباحث بالمرونة والصبر والهدوء، وألا يصحح معلومات الراوي وأفكاره أثناء المقابلة.

١٣ - طبيعة المقابلة في التاريخ الشفوي تعاونية بين الباحث والراوي؛ لهذا فإن من مهمات الباحث مساعدة الراوي على تذكر المزيد من المعلومات.

١٤ - يراعى عند طرح السؤال ألا يكون موحيًا بالجواب. كما يفضل أن يكون الباحث مستمعًا جيدًا، بمعنى أن يقول القليل، ويحصل على الكثير من المعلومات.

١٥ - يراعى ألا يصر الباحث على الإجابة عن كل الأسئلة التي طرحها ولا على تتابع الموضوعات حسب ما يرى؛ بل لا بد أن يكون جل اهتمامه منصبًا على نوعية المعلومات المسجلة وكميتها. للحصول على ذلك يفضل ترك الراوي يتنقل من موضوع إلى آخر فإن هذا مما يساعده على الاستذكار، ويقوي علاقته مع الباحث.

من ناحية أخرى فإن هذا التنقل بين المواضع يشجعه على العودة إلى موضوعات أو نقاط سبق ذكرها في المقابلة فيصحح بعضها، ويضيف إلى بعضها الآخر.

١٦ - يتوقع من الراوي أن يبدأ المقابلة على افتراض أنها أقرب إلى محادثة عادية، ولكن يجب على الباحث خلال اللقاء أن يحرره من هذا الوهم. عادة ما يتشاطر المتحادثان الكلام؛ ولا يغرق أي منهما الآخر بتفاصيل دقيقة، وقد تكون مملة؛ لكن الباحث في التاريخ الشفوي يجب أن يفهم الراوي بأن عليه أن يتحدث معظم الوقت، وأن الإغراق في التفاصيل هو الأمر المطلوب.

١٧ - يجب على الباحث أن يفترض بأن الراوي يعرف أكثر مما يستطيع تذكره، فلهذا فإن من مهماته مساعدة الراوي على تذكر الماضي وتسجيله. يلحظ على معظم المقابلات الأولية أنها سطحية، ولذا يجب أن يفترض الباحث أن بإمكانه زيادة المعلومات وتعميقها.

١٨ - يمكن زيادة المعلومات بشأن موضوع معين، وذلك بطرح السؤال من زوايا مختلفة، ويكون هذا في نهاية المقابلة أو عند إعادتها مرةً أخرى. لمزيد من الدقة والتفصيل اطلب من الراوي أن يحدد أو يضرب أمثلة على أجوبته. كما يمكن أن يزج الباحث بمعلومات إضافية أو مناقضة لما ذكره الراوي ويسأله عن ردة فعله أو تعليقه على ما سمع، وهذا بلا شك لا يتأتى إلا بتحضير جيد قبل اللقاء. أخيرًا وقبل نهاية المقابلة يفضل أن يطلب من الراوي توضيح المصطلحات والكلمات غير المفهومة التي مرت خلال التسجيل.

١٩ - يجب أن تنتهي المقابلة عندما يشعر الباحث بأن الراوي أصبح متعبًا؛ لهذا - وكما ذكرنا سابقًا - يجب أن يكون الباحث مرنًا فلربما استطاع الحصول على معلومات أكثر وأفضل بإجراء لقاءات قصيرة.

٢٠ - أثناء المقابلة يفضل أن يدوّن الباحث بعض الملحوظات المهمة؛ لتُظهر للراوي مدى اهتمامك بما يقول، ولتعينك على تذكر النقاط التي تريد طرحها قبل انتهاء المقابلة.

٢١ - ينتهي اللقاء بالشكر والثناء على الراوي وإشعاره بأن هذه المعلومات القيمة التي أدلى بها سيكون لها أثر طيب لدى الباحثين في التاريخ.

بعد ذلك يبدأ الباحث في تدوين انطباعاته عن الراوي ومدى تجاوبه وصدقه، وما الأسئلة التي يمكن طرحها في اللقاء القادم؟ ويجب أن يتم ذلك في مكان غير مكان المقابلة.

٢٢ - إذا وجد الباحث لدى الراوي وثائق (صور أو رسائل أو مستندات أخرى) بخصوص الموضوع ولم يمانع من الاطلاع عليها واستنساخها فإن هذا مما يزيد من قوة الرواية بالإضافة إلى ما في الوثيقة ذاتها من قيمة تاريخية.

٢٣ - يستمع الباحث جيدًا لما تم تسجيله على الأشرطة؛ لكي يتمكن من إعادة صياغة دليل المقابلة قبل اللقاء القادم. غالبًا ما تكون المقابلة الإضافية ضرورية وربما لأكثر من مرة؛ وذلك لتغطية بعض الموضوعات التي لم تطرق في اللقاء السابق أو لتحديد بعض التواريخ أو استجلاء بعض النقاط الغامضة.

> **غالبًا ما تكون المقابلة الإضافية ضرورية وربما لأكثر من مرة**

٢٤ - على الباحث أن يتذكر دائمًا خلال المقابلة سواء كانت الأولى أم مقابلة لاحقة بأن أطراف اللقاء ثلاثة: الباحث والراوي وأداة التسجيل التي تؤدي دورًا صامتًا ومهمًا؛ لأنها تخلّد ما يقال للأجيال القادمة؛ لهذا يجب الاهتمام بها للحصول على تسجيل جيد بشرط ألا يكون ذلك بوضع لاقط الصوت في مكان قد يؤثر على نفسية الراوي وانسجامه أثناء المقابلة.

٢٥ - التوثيق: يعد التوثيق أمرًا ضروريًا لأي عمل من هذا النوع لكي يصبح مفيدًا ونافعًا للباحثين يَسْهُل الوصول إليه. نقترح في هذا الصدد ملاحظة الأمور الآتية:

أ - تصميم نموذج مقابلة يحتوي على البيانات المطلوبة التي يجب حفظها مع الأشرطة المسجلة. يحتوي هذا النموذج على بيان بالمعلومات الشخصية للراوي وهي الاسم والكنية (إذا وجدت) وتاريخ الميلاد. كما يجب أن يحتوي على تاريخ اللقاء ومكانه، وينتهي بفراغ يتسع لكتابة أسطر عدة هي عبارة عن ملحوظات الباحث وانطباعه عن المقابلة، وأخيرًا اسم الباحث وتوقيعه.

ب - تصميم نموذج آخر خاص بالشريط، ويشتمل على معلومات مثل رقم الشريط وموضوعه واسم الراوي والباحث.

جـ - تفريغ المادة المسجلة وطباعتها يسهل الاستفادة منها، كما يعد النشر أمرًا ضروريًا؛ لأنه يساعد على انتشار المادة بين الباحثين، ويشجع من كان مترددًا من الرواة على الإدلاء بما لديه من معلومات بشأن هذا الموضوع (وربما تكون مناقضة) أو غيره من الموضوعات الأخرى.

د - تجمع المادة الشفوية من أجل استفادة الباحثين منها؛ ولهذا يعد التكشيف والفهرسة أمرين ضروريين.

هـ - يجب حفظ المادة المسجلة في ظروف فنية مناسبة لكي لا تتلف، كما أنه يجب الأخذ بأساليب التطور الفني في هذا المجال.

الخاتمة:

رأينا من خلال هذا البحث، واستعراضنا لبعض نماذج من مصادر التاريخ السعودي الحديث أن عوامل عديدة تضافرت، وجعلت المادة المكتوبة من تاريخ جنوب نجد قليلة جدًا. كما رأينا أن الاعتماد على التاريخ الشفوي لم يكن أمرًا جديدًا ولا محدودًا بثقافة دون أخرى. وقد اتضح من خلال معالجة مشاريع التخرج لطلاب قسم التاريخ بجامعة الملك سعود التي كتبت في التاريخ الشفوي إمكان سد بعض جوانب النقص الذي تعاني منه الرواية التاريخية المكتوبة فيما يخص جنوب نجد.

هذه الأبحاث الطلابية مع ما يعتريها من قصور إلا أنها بيّنت ما يمكن عمله عن طريق الرواية الشفوية تجاه بعض الجوانب من تاريخنا الوطني. يمر الزمن سريعًا، وتتعاقب الأجيال وجوانب كثيرة من تاريخ مجتمعنا غير مدونة، وفي مثل الظروف والتغيرات التي مرت بها المملكة العربية السعودية وغيرها من دول الخليج العربي وخاصة بعد اكتشاف النفط ربما نجد أنفسنا ذات يوم وليس بين ظهرانينا من يعرف شيئًا عن ماضينا القريب. أخيرًا ختم البحث بسلسلة من التوصيات لمن أراد العمل في ميدان التاريخ الشفوي آمل أن تسهم ولو بشيء يسير في تدوين حياة أجدادنا قبل أن تصبح في طي النسيان.